تجلي أدب الهامش في السّرد الجزائري: دراسة في رواية الخيال العلمي _أمين العلواني لفيصل الأحمر أنموذجا_

The manifestation of marginal literature in Algerian narrative: a study of the science fiction novel _"Amin Al-Alwani" by Faycel Al-Ahmar as a model_

أميرة عرامة[1*]، إيمان جريبة[2]

[1]جامعة محمّد لمين دباغين _سطيف2_ (الجزائر)

[2]جامعة محمّد لمين دباغين _سطيف2_(الجزائر)

الملخص:

آمنت مرحلة ما بعد الحداثة _خاصة تفكيكية جاك دريدا_ بالمتعدد والمتحول بدل الثابت والمستقر، وبِردّ الاعتبار للفرد والاهتمام بالهامش والمختلِف وتبني فكرة التعددية الثقافية التي تحتفي بجميع الذّوات الإنسانية على حد سواء، وذلك بتحطيم القوالب الثّابتة وفك أغلال المركز، والثورة على كل أصنام التقليد وأشكاله، مما أسهم في إنتاج خطاب جماهيري بحت، مبني أساسا على فكرة الإحتفاء بالهامش ورفض كل ما هو نخبوي.

تغيّر إثر ذلك مفهوم الأدب تماشيا مع تحولات الواقع الجديد، فأضحى هذا الأخير منقسما على ذاته بين أدب رسمي/ مركزي لا يخرج عن إيديولوجية المؤسسة، وآخر غير رسمي/ هامشي لا يخضع للرقابة المؤسساتية والأعراف السائدة، والذي تطور فيما بعد فأصبح اتجاها أدبيا قائما بذاته أطلق عليه "أدب الهامش" تنضوي تحته عدّة أنواع أبرزها: "روايات الخيال العلمي" التي يتعانق فيها العلم مع الأدب والخيال بالواقع، وهو ما سيكون محل دراستنا في هذه الورقة البحثية الموجزة.

الكلمات المفتاحية: ما بعد الحداثة، المركز، الهامش، اليوتوبيا، الخيال العلمي.

Abstract

The postmodern era, especially the deconstructive approach of Jacques Derrida, believed in the multiple and the changing instead of the fixed and stable, and considered the individual and focused on the marginalized and the different, adopting the idea of cultural multiplicity that celebrates all human beings equally.

By breaking the fixed molds, breaking the chains of the center, and revolting against all idols of tradition and its forms, which contributed to the production of a purely populist discourse, based primarily on the idea of celebrating the marginalized and rejecting anything elitist.

After that, the concept of literature changed in line with the transformations of the new reality. The latter became divided within itself between official/central literature that does not deviate from the ideology of the institution, and unofficial/marginal literature that is not subject to institutional control and prevailing norms. This later evolved to become a literary trend in its own right, known as "Marginal Literature," under which several types fall, the most prominent of which are "science fiction novels" where science embraces literature and imagination with reality. This will be the subject of our study in this brief research paper.

Keywords: Postmodernism, center, margin, utopia, science fiction.

* أميرة عرامة

مقدّمة:

شكّل الخيال العلمي في الأدب المعاصر فضاء رحبا للإبداع والتأمّل الفلسفي، وبالاعتماد على تقنية الخيال التي تتحقق عن طريق المزج بين الحلم والواقع استطاعت رواية الخيال العلمي التي كانت في السابق تقبع في الهامش/ المسكوت عنه أن تكون اليوم رواية إنسانية عميقة تبحث عن مستقبل فاضل تكِنُ إليه الذوات هربا من سوداوية واقعها المعيش.

وتعتبر رواية الخيال العلمي من أبرز أشكال "الأدب الموازي" كما يعدّ الروائي الجزائري "فيصل الأحمر" من أجدر الذين اقتحموا هذا الميدان خاصة في روايته الموسومة ب "أمين العلواني" التي جمع فيها بين الواقع الراهن والمستقبل الاستشرافي في تجربة إبداعية حافلة بعوالم الخيال العلمي والفانتازيا. هذه الرواية التي كسرت نموذج السرد القديم، وتجاوزته إلى عوالم تقودها الآلة، فكانت خطابا ثقافيا يختزل رؤية الروائي للوجود، وصرحا معرفيا يشيّد خطابا ثائرا على الكثير من القيم مسلطا الضوء على هوامش الثقافة في المجتمع العربي.

وبناء عليه، فإن الإشكالية التي تثيرها هذه الورقة البحثية هي:

- أين يتوقف الواقع ويبدأ الخيال؟ وكيف يتمثل السّرد عالما خياليا يمزج بين الواقعي والتخييلي في رواية الخيال العلمي؟
- وكيف يمكن للذات أن تتمثل ذاتها من خلال الآخر وتكتب سيرتها في المستقبل بحثا عن الخلود؟ وما مدى استيعاب التقنية لأحلام وتطلعات الإنسان؟

1. أدب الخيال العلمي بين عوالم الهامش وتمثُّلات الثقافة في الخطاب الروائي:

قامت ما بعد الحداثة على تهميش كل المقولات والمتعاليات التي أقرتها الحداثة، حيث عملت على تأسيس خطاب مضاد ينحاز للهامشي واليومي واللاواعي، بغية تحطيم الهيمنة المركزية للعقل الغربي الحداثي، فقد تشكل تيار ما بعد الحداثة "من كونه يجمع بين أساليب مختلفة في العمل الفني الواحد، وكونه يهشّم عالم التّجربة اليومية ليعيد تركيبه في توليفات غير متوقعة، كونه يقوم على المفارقة والغموض وانعدام اليقين، إنّ كل هذه الخصائص ربما تدل على ميلاد أشكال جمالية جديدة بقدر ما تعيد تشغيل تقنيات الحداثة واستراتيجياتها لتدخل في سياق ثقافي متبدل" (سبيلا و عبد السلام، 2007، صفحة 5) وبالتالي أصبحنا نتحدث عن عوالم تهتم بالأطراف وتنتقل من الوعي إلى اللاوعي ومن العقل إلى اللاعقل، وإحلال التبعثر والاختلاف محل الأصل والتمركز، كما أصبحنا نتحدث عن " التعددية الثقافية التي تسمح لكل الثقافات والنظريات الأخرى أن تكون عنصرا فعالا وإيجابيا" (الغدامي، 2005، صفحة 39_40). وبه

أصبح الأدب خطابا مفتوحا على التّثقاف والتعدد والتداخل الأجناسي، وصرحا معرفيا تتحاور فيه مختلف الرؤى والطبقات والقيم والأحلام والصراعات.

وقد تمخّض عن التيار الما بعد حداثي في الأدب، أنواع أدبية جديدة جسّدت صراع اليقينيات والإيديولوجيات والعقائد والأفكار، ذلك أن الأدب يُشيّد على إيديولوجيا عصره ويتبنى مختلف صراعاته وتناقضاته، ومن ثمة فقد دخلنا في كل ما هو خارج عن التيار الرسمي المؤسساتي وفكفكة الاستعمار والاستشراق وإشاعة نظام الأقليات الصراعاتي، فتولدت لنا مضامين جديدة تتحدث عن الإنسان المتمرد والمرأة والشذوذ وكل ما كان مغيبا في الثقافة المركزية، وعليه كان السرد الجنس الأدبي الأمثل لتمثل هذه المضامين، لقدرته على تمثل هذه المرجعيات الثقافية والاجتماعية والتاريخية وهو أمر يفوق قدرة الأنواع الأدبية الأخرى.

هذا الاحتفاء بالسّرد جعل من الرواية نموذج السرد الواعي بما هي خطاب مفتوح يبحث عن انعتاقه من الأحادية في مختلف الثقافات ليقتحم عوالم التخييلي والواقعي بحثا عن ذاته، وعن أجوبة لسؤال زمانه وتاريخه في هذا الوجود المبهم، فالرواية من هذا المنظور هي حيرة السؤال الوجودي لهذا الإنسان المأزوم، الذي أصبح مهمشا في عالم التشيؤ، عالم الآلة التي جعلت منه رقما وجرّدته من إنسانيته. "فقد صورت الرواية هذا الواقع المر التعس الذي بتنا نستحِ منه من أنفسنا، بكل ما يحمله من صدق وعفوية كما هو في تجلياته المعيشية المختلفة، لعل ذلك ما جعلها من الناحيتين الواقعية والفنية تحتل مكانة مرموقة في قلوبنا وعقولنا، وهو ما خولها كذلك لأن تكون أقرب الفنون الأدبية إلى معترك همومنا اليومية، وبالتالي إلى حياتنا الواقعية التي نعيشها يوميا، والتي تفضح أسرارنا لتخبرنا بها، في تلك الانفرادية التي نعيشها معا" (طاهر، 2017، صفحة 18).

إن هذا الإنسان المهمّش –الما بعد حداثي– أنتج لنا ما يسمى بأدب الهامش في الرواية المعاصرة، "فالمتأمل لكتابة الهامش الذي لا نعني به "تهميش الكتابة" أو "رسم الهوامش والشواهد" وغير ذلك، ولكننا نعني ضم الهامش إلى أنساق الكتابة الأدبية والاعتراف بها مرجعا وتمثيلا تخييليا، وهو توجّه بارز في الرواية العربية التي تحاول تجاوز الخط الرسمي وكسر المألوف منها، وبالتالي يتمكن لنا أن نعتبر خطاب الهامش مجالا مفتوحا للسرد، يحاول معاكسة الخطاب الرسمي ومراوغة أنساقه من خلال تصوير الواقع اليومي المتردّي للحياة اليومية ومحاولة تبني مشاغل الناس في المناطق والأنحاء المهمّشة، وهي المواضيع التي تحاول الخطابات السلطوية العربية تجاهلها والصمت عنها، كي يفسح المجال لخطاباتها ولإنجازاتها، كما تتجاوز كتابة الهامش الخطوط الأخلاقية الحمر، وتقترب من الخطابات المحرمة والممنوعة" (حسن، 2007، صفحة 45)، وبالتالي فإن أدب الهامش هو أدب المسكوت عنه والغريب والمحرم، وعليه نجد أن الثقافة نوعان

الثقافة الرسمية التي تشيعها المؤسسة وهي الثقافة المكرسة للقوانين التي تنتج أدبا رسميا يدرس في المؤسسات التعليمية ويخضع للنقد والتأويل، وفي المقابل ثقافة ثانوية مهمشة تمخضت عن أدب استهلاكي لا يرقى للمستوى التعليمي الأحق بالدراسة والتفسير وهو ما يعرف بالأدب الموازي.

وقد عُرّف أدب الهامش على أنه" كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية" (غيث، 2008، صفحة 52)، فهو كل أدب متمرد على السلطة والتقاليد والمتداول، هو ما يسكن المناطق الشعبية وأحاديث المقاهي وضجيج الأرصفة، هو كل ما غضت عنه السلطة الطرف ولم تلق له بالا.

ونجد الحديث عن الهامش عند العرب يشمل حيّزا واسعا، ذلك أن الإنسان العربي إنسان همشته الحضارة الغربية بدعوى التفوق، وبالتالي كان الشعور بالنّقص والضعف والهزيمة هو الشعور الذي اكتسحت به معظم الروايات العربية إن لم نقل كلّها، وعليه يمكننا القول: بأن صراع المركز والهامش هو صراع الأنا والآخر، بما هو صراع أنطولوجي في العالم، ومحاولة إثبات الذات لوجودها وفاعليتها داخله. إن الأدب الهامشي هو الأدب الذي ينصب اهتمامه على "المبتذل والسطحي واليومي لتقويض التراتبيات، ولإعادة الاعتبار للعرضي والمفارقة واللغة اليومية سعيا لخلق عالم وجهه التعدد" (هاشمي، 2003، صفحة 15) يذيب الحدود بين الطبقات والأديان ويسعى لتأسيس عدالة اجتماعية تفضح سياسة السلطة.

وقد تمخض عن أدب الهامش نوع أدبي جديد في ظل العولمة وتطور التقنية، وهو أدب الخيال العلمي الذي يمتزج فيه المحكي العلمي بالمحكي الأدبي عبر جدلية الحلم والواقع تتوسل الغرابة ومعانقة المجهول، كما ظهر هذا النوع من الأدب عند الغرب في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وأصبح يجاري الآداب الرسمية، غير أنه في البيئة العربية لا يزال أدبا فتيا لا يعدو أن يكون مجرد قصص للأطفال لما فيه من غرابة وخرق للواقع والمنطق، ومع ذلك إلا أنه وجد مكانا له داخل أوساط المحبين للتكنولوجيا ووسائط التقنية، وبالتالي تطور أدب الخيال العلمي من كونه مجرد قصص مسلية للأطفال إلى أدب يحاول صياغة الواقع والآمال والأحلام من خلال لغة مكثفة بالرموز والمصطلحات العلمية والهواجس الإنسانية المثخنة بالمخاوف من المستقبل، هذا المجهول الذي اخترقته التقنية وحاولت مجاراته.

ظهر الخيال العلمي لأوّل مرّة في بدايات القرن التاسع عشر بين طيات كتاب ألفته شابة في الثامنة عشر من العمر وهي ماري شيليMary Shelley (1797_ 1851) زوجة الشاعر الإنجليزي بيرسي شيلي Percy Bysshe Shelley (1792_ 1822)، وهي رواية غريبة انتهت بفشل الإنسان على أن يكون إله. حيث سار أدب الخيال العلمي خلال هذا القرن نحو البحث عن حياة أفضل للإنسان والحلم بغد مشرق ومريح بفضل التطور الكبير

في التكنولوجيا، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى تهشم الحلم وانعكس الاتجاه بالحذر من الثقة العمياء في العلم، وفي مرحلة لاحقةّ أصبح الخيال العلمي ينحاز للتأمّل الفلسفي من خلال استثمار مختلف العلوم والمجالات كالأنثروبولوجيا والدين والثقافات الشعبية والأساطير المشكّلة للثقافة الإنسانية.

إن العثور على مفهوم لأدب الخيال العلمي أمر في غاية التعقيد، لاختلاف الدارسين حول ماهيته، إذ يعرفه هوجو جيرنسباك بحيث يجعله مقتصرا على نماذج معينة من "حكايات تحكى بأسلوب جون فيرنJ.verne وه، ج ويلزH.G Wells وإدجار ألان بوE.A.Poe" (العبد، 2007، صفحة 28)، وقد رفض _لاكورب_ هذا التعريف الكلاسيكي وعرفه بـ:" إن الخيال العلمي في مجموعه كأي مجال لاتزال المعرفة به مكبلة، قد أرجعه غير العالمين بأسراره إلى ماهو أكثر تمثيلا في نظرهم: ابتكارات خارقة، حروب العوالم، جول فيرن، هـ، ج فيلز، وليس هذا على الإطلاق وجه الخيال العلمي المعاصر الحقيقي، إنه في الواقع أبعد ما يكون عن جول فيرن بمثل ما كان فيرن بعيدا عن ألفونس دوديه" (جريفيس، 2007، صفحة 7)، ويظل هذا التعريف أيضا مبهما وغير واضح، ذلك أن "أدب الخيال العلمي فرع من أدب التّأمّل النظري الذي يتناول التقديرات الاستقرائية للمستقبل القائمة على فرضيات لم تثبت صحتها بعد، ومن أكثر الموضوعات المألوفة في أدب الخيال العلمي، الطيران الفضائي، وحركة الزمن ومواجهة كائنات من خارج كوكب الأرض والتغيرات السيكولوجية والبيولوجية على السلوك الاجتماعي، إنّه أدب التغيير الذي لا يقتصر هدفه على تسلية القارئ أو الترويح عنه، بل يتعدى ذلك إلى التبشير بالمستقبل والتنبؤ بالتطورات العلمية والتكنولوجيا والدعوة إليها و الحث على تحقيقها- أدب احتمال-" (سكولز و وآخرون، 1996، صفحة 12) وعليه فإن أدب الخيال العلمي هو نظرة استشرافية للمستقبل ومحاورة للزمن وتحولاته، وهو أدب إنساني يلغي كل الاعتبارات والفوارق الطبقية والدينية والعرقية والإثنية. وقد حملت مضامين أدب الخيال العلمي نزعة تشاؤمية تدور حول الخطر الذي يهدد الجنس البشري على المعمورة بسبب الخوف من التطور السريع والهائل للتكنولوجيا.

أما بالنسبة للعرب فنجد أنهم حاولوا النسج على منوال الغرب وخوض مغامرة التجريب الروائي في الخيال العلمي، ومن بين أوائل الروائيين الذين كتبوا في هذا النوع الأدبي "نهاد شريف"، "حيث تناول التقدم العلمي ومنجزات التكنولوجيا وتطورها من خلال أحداث درامية، تعتمد المزج والمصالحة بين الأدب وبين العلم، فالأوّل قائم على الخيال والثاني قائم على التجربة، وهو باختصار التوفيق بين النشاط الخيالي والنشاط العلمي الإنساني وهو نوع أدبي يتضمن إبداع الخيال وقدرته على التنبؤ بالإنجازات والابتكارات العلمية والرواد القادمين من الفضاء والسفر عبر الزمن واستيطان الفضاء والكوارث بأنواعها والمدن الفاضلة...إلخ" (معاطي، 2014، صفحة 9)، فمن خلال ملكة الخيال والتخييل

يمكننا الجمع بين ما هو علمي وما هو أدبي، وبواسطته يقيم الروائي عوالمه، ويقيم شخصياته وحوارها ويجسد صراعاتها وتناقضاتها ومخاوفها عبر فعل السرد.

إن أدب الخيال العلمي هو أدب إنساني تمت المزاوجة فيه بين متنافرين طالما جسدا صراع ثنائية الذاتية والموضوعية، العلم والأدب، عبر تقنية الخيال التي تجعل من المستحيل ممكنا، وتتجول في رحاب الزمن الواسع، فهو يحاكي الواقع ويسائل المستقبل، ويكشف عن الممكن وما يمكن أن يكون. حيث تعددت أنواع أدب الخيال العلمي من اليوتوبيا (المدن الفاضلة) والدّيسوتوبيا (المدن الفاسدة أو المدن الكابوسية)، أوبرا الفضاء، المجتمع السيبراني، الخيال العلمي السياسي...الخ. هذا التعدد دليل تشعبه وخوضه في مواضيع عديدة.

ومن بين أهم السمات التي يتميز بها أدب الخيال العلمي "التنبؤ بالمستقبل"، حيث "يطرق كتاب روايات الخيال العلمي أبواب المستقبل بتنبؤاتهم دون زمن محدد نظرا لكون الخيال العلمي لا يمكن فهمه إلا في بعده الزمني، فهو نظرة واسعة إلى العالم، يتداخل فيها خيال الكاتب مع الحقائق والنظريات العلمية الموجودة و المحتملة، ترسم أحداثا تقع في المستقبل أو في الماضي، تثير القارئ و تذهله توهمنا بأن ما يجري من أحداث قابل للوقوع، وقابل للحدوث وذلك انطلاقا من بعض التنبؤات التي يفترض العلماء حدوثها في المستقبل .." (الساوري، 2007، صفحة 59)، فالتنبؤ بالمستقبل في الخيال العلمي لا يتجه نحو خط مستقيم إلى المستقبل فقط بل حتى أنه يعود إلى الماضي، وبالتالي فأدب الخيال العلمي هو أدب زمني بامتياز يكون فيه الزمن محور العمل.

كما نجد أيضا من خصائص هذا الأدب الرحلة الخيالية التي يرسم فيها الروائي عوالم يرتحل إليها سكان الأرض، وقد تنطلق هذه الرحلة من الحاضر أو المستقبل وقد يعود إلى الماضي، كما تعتبر خاصية الانطلاق من الواقع وتصوير المستقبل من أهم مميزات الخيال العلمي، فالواقع في أدب الخيال العلمي هو ذلك الواقع الذي تشغل فيه التقنية حيزا كبيرا يتم فيه إعطاء صورة توضح المستقبل الذي يختلف عن هذا الواقع وعن صوره المألوفة.

إن أدب الخيال العلمي يبدأ حين تنهي الأنواع الأدبية الأخرى، وذلك لقدرته على التلاعب بالزمن ومحاورته بالاستناد على العلم، والتأمّل الفلسفي، فهو أدب يستثمر حتى العلوم الانسانية، ليخوض تجربة المجهول عبر لغة شعرية تخلّص فيها من اللغة الصارمة للعلم و بثّ الحياة فيها بواسطة اللغة الأدبية بتفعيل ملكة الخيال، بوصف هذا الأدب أدبا مستقبليا ينطلق من الواقع الحاضر إلى المستقبل، باحثا عن الذات الإنسانية التي عملت الآلة على تشتيتها بل على التخلص منها داخل عالم التكنولوجيا الذي فرض علينا الآلة وجعلها هي من تتحكم فينا ونحن الذين صنعناها... !

2. تيمات أدب الخيال العلمي في رواية "أمين العلواني":

تدور أبرز موضوعات أدب الخيال العلمي في فلك العجائب والخوارق والأحداث غير المنطقية التي تفوق تصورات العقل البشري؛ كالمخلوقات الفضائية، السفر عبر الزمن والذكاء الاصطناعي وغيرها... وقد عكست أعمال الروائي الجزائري فيصل الأحمر هذه العوالم التخيلية من خلال عدّة أعمال أبرزها روايته الموسومة ب: "أمين العلواني" التي نحن بصدد استقراءها والبحث في مكنوناتها الثاوية عن تمظهرات الخيال العلمي فيها.

وتعتبر رواية "أمين العلواني" طفرة في عالم السرد الروائي المعاصر، حيث حاول فيصل الأحمر فيها أن يتجاوز الأنماط السردية البالية ويخترق الأشكال التقليدية السائدة، ليلج عالم التجريب، القائم أساسا على فكرة المغامرة و"ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته، عندما يتجاوز المألوف، ويغمر في قلب المستقبل" (فضل، 2005، صفحة 3). وهذا ما نلحظه بشكل جلي في هذه الرواية حيث أن الكاتب قد قدّم لنا ملحمة روائية استثنائية جمع فيها بين الواقع الراهن والمستقبل الاستشرافي من خلال معالجته لهاجس مستقبل الطبقة المثقفة في الجزائر وما يخبئه القدر لهذه النخبة مع مرور الوقت...

أخذنا فيصل الأحمر في روايته هذه إلى عالم خيالي استشرافي تكهن فيه حياتنا باعتبار ما ستكون عليه في المستقبل، حيث استهل روايته بالحديث عن مجتمع متخيّل يبدأ سنة 2017 وهو العام الذي صدرت فيه هذه الرواية،حيث "ولد أمين علواني في شتاء عام2017، وهو العام الذي سميّ فيما بعد بعام الفيديراليات لكثرة التكتلات الفيديرالية التي ظهرت أو تجسدت أنذاك..." (الأحمر، 2017، صفحة 5)، من هنا ينطلق بنا الكاتب في رحلة إلى عوالم الزمن القادم؛ حيث سيبدأ تدريجيا في وصف حالة المجتمع في المستقبل، فنجد أنفسنا ونحن نقرأ هذه الرواية أمام شرفة تطل على المستقبل نتخيل تفاصيل حياتنا القادمة والتغيرات التي ستطرأ علينا كما شاء الكاتب أن يصورها لنا، حيث تبدل نمط العيش كليا فقد "تغيرت طرق القراءة على زمان العلواني فكان مرتاحا جدا لذلك الميكروفون العاقل الذي يملي عليه نصوصه فيكتبها ثم يأمره بمحو الكلمة فيهمه...ويستبدل الجملة بالجملة وهو مستلقي على ظهره في قاعة المكتب... وعيناه تقرآن ما يمليه لسانه على ميكروفون مرتبط بعقل آلي ينقل الكلام الملقى مباشرة إلى الجدار أمامه..." (الأحمر، 2017، صفحة 78)، كما كان " شكل الحروف على الحائط يتغير بأمر من حنجرته (خط / كوفي) فيتغير المكتوب على الحائط ... وتجد الجمل تسبح على البحر وتتموج..." (الأحمر، 2017، صفحة 78)، جاء النص حافلا بمظاهر التطور التي ستحدثها الثورة التكنولوجية التي توقع فيصل الأحمر أنها ستجتاح عالمنا في المستقبل، والتي سيتغيّر على

إثرها الانسان جذريا، أين تحل الآلة مكانه فيصبح كل شيء يتم بضغطة زر هذا الأمر الذي جعل الرواية تصنف ضمن الأدب الاستشرافي القائم أساسا هذا النوع من الخيال.

3. الأنساق الثاوية في متن الرواية:

1.3 النسق الوجودي:

الكتابة انعتاق وبحث مستمر عن الاطمئنان داخل اللغة من أرق وحيرة الوجود، هكذا صاغ فيصل الأحمر روايته أمين العلواني، هذه الشخصية التي تبحث عن الخلود في فضاءات الزمن محاورة وترحالا، أمين العلواني خطاب يبحث عن الأمان من فناء الموت هذا الهاجس الذي جعله يبحث عن أساليب تمكنه من الهرب من هذا الواقع المخيّب إلى الخيال الذي يحلم فيه بمستقبل هادئ يُسخر فيه الآلة لتسهيل حياته.

إن شهوة الخُلود، هي شهوة شجرة الخلد بدءًا من سيدنا آدم _عليه السلام_ وتجربة البقاء في ملحمة جلجامش، هذا هو الإنسان بطبعه في صراع مع الزمن، اتخذ الفن ملاذا للخلود، الفن بما هو كتابة تتجاوز الحاضر إلى المستقبل.

تناثر أمين العلواني على صفحات خطاب الأحمر بوصفه شخصية غريبة تنحاز إلى العزلة عاشت مسيّرة منذ الطفولة، مما فرض عليها النزعة التشاؤمية والتذمر من الواقع، وبالتالي بدأ يبحث عن انعتاقه من هذا الواقع في يوتوبيا مثالية تحقق ما عجز الحاضر عن تحقيقه.

يتبيّن من خلال المتن الروائي الذي يُسائل الحاضر ويشك في قدرته على تحقيق مطالبه، أن الرواية تأسست على الارتياب الذي نجده عند نيتشه Friedrich Nietzsche (1844 - 1900)، مبدأ الارتياب الذي يعمل على جعل كل ركن في الوجود مجرد فرضية قابلة للّدحض، وبالتالي فإن فيصل الأحمر على لسان أمين العلواني يعيش حيرة وجودية وهو يتأمّل العالم من حوله، بوصفه عالما قاصرًا قاهرا، فرض عليه العزلة، هذه العزلة كانت بمثابة العالم الثاني الذي أسسه العلواني من خلال أدوات التهييج أو الدماغ الثاني، ملائكة الأدب، جنون وادي عبقر... كما سمّاها. فأسس لهذا العالم من خلال هاجس الأدب الذي راوده منذ الصّغر فجعله يكتب يومياته بطريقة مشفّرة لا يفهمها إلا هو تعتمد على الومضة؛ هذا النوع الأدبي الذي يتماشى مع سرعة الزمن التكنولوجي.

إن الكتابة الوجودية التي يمارسها العلواني هي كتابة إلكترونية متطورة عن نموذج الكتابة الورقية، حتى إن العواني لم يتقن الكتابة الورقية؛ هذه الفكرة تحيلنا على تسهيل فعل الكتابة للكتاب، كما تحيلنا عن موت جانب من جوانب الروح الإنسانية التي صارت تبحث عن كمالها داخل التقنية داخل الآلة التي أصبحت تمثل نصف الإنسان في عالم التشيؤ.

وتتأسس فكرة الإشهار من خلال هذا النسق الوجودي، في فعل الخرق الذي مارسه الكاتب على متلقيه، ذلك أن المتلقي بطبعه يميل إلى التشويق وكسر الألفة، إلى الغريب الذي يثير الأسئلة في ذهنه. فالتلاعب بالزمن والحديث عن آلام شخصية العلواني هو محاكاة للواقع التعيس الذي يعيشه الإنسان في عصر التكنلوجيا، الإنسان البيوتقني الذي فقد إنسانيته وصاحبه فراغ روحي وعاطفي يبحث عنه داخل النصوص وداخل التقنية.

2.3 نسق الغيرية/الآخر:

إن الحديث عن ذات أمين العلواني هو حديث عن الذات الموازية له وهي ذات فيصل الأحمر، فقد جسّد لنا فيصل الأحمر هواجسه وأحلامه وهمومه وتطلّعاته من خلال شخصية أمين العلواني هذه الذات التي تسعى إلى اكتشاف الآخر عبر اقتحام المجهول والمستقبل، وبالارتحال في الزمن والمكان والذهن رحلة داخلية خارجية تحسن لعبة المرايا القائمة على الخفاء والتجلي/ الثبات والتحول عن طريق المخيال التكنولوجي.

وعليه، فقد تشكّل نص أمين العلواني من مجموعة من الذوات تعددت أصواتها داخل المتن الرّوائي، فذات أمين العلواني هي ذات تشكّلت من الذوات المذابة في النصوص الأدبية بدءًا من جمال الغيطاني، أي هي تلك الذات التي تعالقت مع ذوات كثيرة خلال تجربتها المعيشة فساهمت في تشكيلها.

هذا التداخل بين الذوات يحيلنا على سؤال الهوية من الذي كتب العلواني؟ هل فيصل الأحمر هو الذي كتب العلواني؟ أم أن أمين العلواني بوصفه مثيرا حفز قريحة فيصل الأحمر وهيجها فدعاها إلى كتابة فيصل الأحمر؟ إن العلواني بوصفه شخصية ورقية يحيلنا على جزء من واقع فيصل الأحمر، يحيلنا على الأمان الذي يبحث عنه الأحمر داخل العوالم التخييلية التي شيّدها العلواني، وبالتالي فإن فناء الذات الأحمرية هو استمرار للذات العلوانية داخل الكتابة بما هي محاكمة أمام التاريخ.

وبالتالي، فإن صراع ذات العلواني وذات فيصل الأحمر هو صراع لعالمين في الحقيقة، العالم التخييلي والعالم الواقعي، العالم المشتهى الذي غزته التكنولوجيا والعالم الواقعي بما هو عالم الخيبة العالم المتعب والمؤلم.

3.3 نسق المثقّف:

يمكن اعتبار أن التشظي الداخلي الذي يعانيه أمين العلواني في النص السردي هو في الحقيقة التّشظي الذي يعيشه المثقف العربي داخل العالم العربي، هذا المثقف المهمل الذي يعيش على هامش الحياة الاجتماعية.

فهذا التهميش جعله يبحث في المستقبل عن نظرة استشرافية تنظر إلى عقله، بوصفه عقلا يبحث عن التغيير ويتمرد على السائد، فالمثقف له مسؤولية الدفع بالعقل العامي إلى درجة من الوعي تخلصه من الدرويشية وتبلغ به مبلغ التفكير في الوجود وإدراكه.

إنّ ما عاناه أمين العلواني من تهميش وسخرية هو في الحقيقة ما يعانيه المثقف العربي الذي ينظر له بعين الاحتقار من طرف الآخر الغرب ضمن فكرة التفوق الحضاري وبالتالي شعور العربي بالضعف والتبعية، ونظرة السلطة لهذا الفرد بوصفه عائقا في طريق فرض هيمنتها وأساليبها على الذائقة الحضارية، ومن ذلك فإن المثقف يقبع في زاوية المظلم المسكوت عنه والهامشي.

4 . الخاتمة :

إن التطرق إلى فكرة المثقف والحديث عنه من خلال زاوية ضيقة النظر تثير القارئ تجعله يتساءل عن مكانته، بل وتجبره على قراءة الرواية، وعلى إعادة النظر في ذاته ومجتمعه وسلطته السياسية والاجتماعية، من خلال استنطاق المسكوت عنه الذي يسكن الدهاليز المظلمة، هذا الذي يستفز الذات القارئة بوصفها ذاتا تبحث عن التحرر والمختلف داخل النصوص، ذاتا تريد أن تعيش تجربة حياتية جديدة داخل اللغة، وتفتح حوارا دياليكتيكيا مع الشخصيات، مما يخرج الرواية من ربقة الأُحادية ،وخانة الفن الاستهلاكي إلى فضاء نصي يختزل العالم بداخله لا يتوانى السؤال فيه عن الحدوث.

ختاما، حري بنا أن نقول: إن قلم فيصل الأحمر قلم جماعي مسكون بآلام الجماعة وتطلعاتها، قلم يحلم بحياة قوامها الأمن والسلام والسكينة، فهو يكتب لا لأجل أن يكتب، وإنما ليعيد تشكيل ذهنية العربي، ليعيد بناء المجتمع ووسائل السلطة، وهذا ما يبحث عنه متلقي الأدب اليوم، وبالتالي فلا عجب من رواج اسم "فيصل الأحمر" وهو الاسم الذي يعيد صياغة معالم الذات والوجود.

5 . مراجع البحث:

1. الأحمر، فيصل. (2017). أمين العلواني. القاهرة: دار العين للنشر.
2. الساوري، بوشعيب، (2007، يونيو 1). الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات. مجلة فصول، 59 .p.
3. العبد، محمّد. (2007، صيف/خريف). الخيال العلمي استراتيجية سردية. مجلة فصول، 28 .p.
4. بلحيا طاهر. (2017). الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي. بيروت: دار الروافد الثقافية.
5. جريفيس، جون. (2007). ثلاث رؤى للمستقبل. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
6. خالد حسين حسن. (2007). في نظرية العنوان. دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

7. سكولز، ر. & وآخرون. (1996). آفاق أدب الخيال العلمي. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
8. عبد الله الغدامي. (2005). النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية. بيروت/ لبنان: المركز الثقافي العربي.
9. فضل، صلاح. (2005). لذة التجريب الروائي. القاهرة/ مصر: أطلس للإنتاج الروائي.
10. محمد سبيلا، وبن عبد العلي عبد السلام. (2007). ما بعد الحداثة تجلياتها وانتقاداتها. الدار البيضاء/ المغرب: دار توبقال.
11. معاطي، صلاح. (2014). الخيال العلمي بين العلم والخرافة. عمان: الوراق للنشر والتوزيع.
12. محمد عاطف غيث. (2008). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية مصر: دار المعرفة الاجتماعية.
13. هاشمي، غزلان. (2003). تعارضات المركز والهامش في الفكر المعاصر عبد الله إبراهيم نموذجا. العراق: دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع.